النزيلُ بمعمارِهِ في التيه

النزيلُ بمعمارِهِ في التيه

شعر

النزيلُ بمعماره في التيه

خضر سلفيج

الكتاب: النزيل بمعماره في التيه

المؤلّف: خضر سلفيج

التصنيف: شعر

تصميم الغلاف: جنى فضالي

لوحة الغلاف: تفصيل من لوحة للفنّان عبد الكريم مجدل البيك

إخراج/تنسيق الكتاب: نغم عرنوق

الطبعة الأولى: 2025

الترقيم الدولي: 978-91-89925-30-0

المقاس: 14.5 × 21.5

عدد الصفحات: 128

info@lamassu-p.com

www.lamassu-p.com



إذا قتلت قلبي

إذا ما قَتَلْتَ قلبي، قَتَلْتَ الطريقَ
لا تبتعدْ، فمَنْ سيحْميني إذا غِبْتَ عن شَغَفي ومَوْتي؟
كَمْ ماتَ الطريقُ وأنا أحملُ محِنْتَه،
كَمْ مِنْ أرَقٍ وَرِثَهُ جَسَدي.

*

لستُ قُنصُلاً لدى حاضري
لأعْرِفَ الآنَ
ما سوفَ أعرِفُهُ..
وأمنَحَ تأشيرةَ مَوْتي
للعُمْرِ كما يَشْتَهي..

*

إنْ كنتَ أعْطَيْتَني فِنْجاناً مِنَ الرِّقَّةِ لِلأيامِ الماضِية
يُبْطِلُ تعويذاتِ الوِحْدَةِ، والغِيابِ
كُنْتُ سأكونُ على ما يُرام.

يقفُ الغريبُ على قلبِهِ

يقفُ الغريبُ على قلبِهِ
يَعْزِفُ في نايِ المَوْتَى مَراثِيَهُ
كأنَّهُمْ قد رَقَدُوا فيهِ.

الوعولُ في شَجَنِها الوَحْشِيّ

الوعولُ التي اخْتَلَفَتْ

في شَجَنِها الوَحْشِيِّ

وَاكْتَفَتْ بِرائحةِ الصَّوْتِ

في غيابِكِ...

كأَنَّها، تقولُ لكَ:

- لكَ أنْ تُرافِقَ الصَّوْتَ في شَطْحِهِ، في تَرَنُّحاتِهِ، لكَ!

- لكَ أنْ تَدُلَّهُ على مَوْتِكَ في الأنينِ الرَّاقِصِ،

في بسالةٍ تَمْتَحِنُ فيها جَدْوَى صَداهُ في التيهِ الرَّهْوانِ

لكَ!

جُثَّةُ المَنْفَى

فِي الصَّباحِ، يَذْهَبُ الغَرِيبُ لِيَدْفِنَ جُثَّةَ المَنْفَى،
لَيْسَ بَعِيداً عنِ القَبْرِ الذي بَنَاهُ لِنَفْسِهِ،
يَتَكَلَّمُ إلى الجُثَّةِ، كَما لو لَمْ يَكُنِ الأمرُ يَعْنِيهِ.
لَمْ يَكُنْ هُناكَ تَابُوتٌ،
كانَ يَلُفُّها بِقَمِيصِهِ العَتِيقِ،
ويَضَعُ فَوْقَها أَحْجَاراً بَيْضاءَ كي لا تَنْهَشَها الكِلابُ السَّائِبَةُ،
وَوَرْدَةٌ كي لا يُوهِمَ نَفْسَهُ بِأَنَّ هذا يَحْدُثُ بَعِيدًا عنهُ.

ثَمَّةَ ما يَطُوفُ على الشَّامِ

ثَمَّةَ ما يَطُوفُ على البَياضِ
خُطَى مُحايِدَةٌ وَراءَ النَّعْشِ
ذِكْرَى الآخَرِينَ...
ثَمَّةَ ما يَطُوفُ على الشَّامِ
سَأَتْلُو الجُزْءَ الأَخِيرَ مِنْ "تَرْجُمانِ الأَشْواقِ"
تَحْتَ عَيْنَيْها
كي يَبْقَى لَنا نَهْرٌ هُناكَ
وياسْمِينٌ يَلْتَحِفُ المَوْتَى
في غِيابِ اللهِ.

رَغْبَةٌ قَدِيمَةٌ

أنْ أُنْصِتَ إلى قَلْبِكَ يَدُقُّ بِغُموضٍ في أُذُنِي،
يَبْحَثُ عنِ المَكانِ الأكْثَرِ دِفْئاً، ثُمَّ يَتوَقَّفُ.
رَغْبَةٌ، كي أُحِسَّ بِوَجَعِي القَدِيمِ في صَدْرِي،
يَتَخَثَّرُ مِثْلَ نَبِيذٍ لَهُ أَلْفُ عامٍ.
رَغْبَةٌ رَحْبَةٌ
كَمَا لَوْ أَنَّهَا مُهْجُورَةٌ
مِثْلَ سَاعَةِ أَبِي الفَضِّيَةِ فِي جَيْبِ الغَيْبِ
تَدُقُّ بِرَغْبَةٍ مِلْحَّةٍ بِإِلْقَاءِ نَفْسِهَا مِنْ قَلْبِهِ فِي سِحْرِ الزَّمَنِ الضَّائِعِ.

كَمَنْجَةُ الأيَّامِ

هَذِهِ كَمَنْجَةُ الأَيَّامِ،

يَذْهَبُونَ إِلَيْها، وَلا شَيْءَ فِيهِمْ يَعْرِفُ الكَلامَ.

كانُوا يُلَحِّنُونَ بِضَوْءٍ مَرِيضٍ،

أَشِدَّاءَ على السَّهَرِ،

يَتَقاضَوْنَ الأَمَلَ الوَاهِيَ مِثْلَ:

"تُصْبِحُونَ على خَيْرٍ".

سيَحْنُونَ هَامَاتِهِمْ

وَيَأْخُذُونَ نوتاتٍ تَذْكارِيَةٍ

وَاحِداً، وَاحِداً

فِي مَسْقَطِ الأُغْنِيَةِ.

الرَّكْوَةُ حَبِيسَةٌ فِي يَدِكَ اليُسْرَى

الرَّكْوَةُ حَبِيسَةٌ فِي يَدِكَ اليُسْرَى
وَهِيَ تَعِدُّ القَهْوَةَ بِطَعْمِ شَوْقٍ إِلَى فَتًى
أَوْ عَائِلَةٍ
شِتَاتِ ارْتِهَانِي
أَغْمِضُ عَيْنَيَّ
وَأَصْنَعُ حَدِيثاً وَهْمِيّاً
بَيْنَنَا
هَلْ سَيَكُونُ الغَدُ يَوْماً آخَرَ؟

وَحِيدٌ يَعْزِفُ الأوكُورْدِيُونَ

هُنَاكَ، فِي السَّاحَةِ الصَّغِيرَةِ،
وَحِيدٌ يَعْزِفُ الأُوكُورْدِيُونَ،
يَجْمَعُ الشَّجَنَ
وَيَمْلَأُ بِصَوْتِهِ
نَبْضَ المَارَّةِ.

❋

كَأَنَّ الَّذِينَ ذَهَبُوا لِسَمَاعِ العَازِفِ الوَحِيدِ
شَهِدُوا قُدَّاساً دِينِياً
حُزْنَ يَعْقُوبَ الضَّرِيرِ.

❋

كَمْ يَبْدُو مُزْدَحِماً
بِنَفْسِهِ،
وَبِي،

وَهُوَ مُنْحَنٍ فِي بَيَاضِهِ المُضْطَرِبِ
هَذَا الغَرِيبُ!

❋

مَوْتُكَ مجَازٌ
لَا يَلْهُو بِمَحْضِ الغَرَابَةِ
يَكْتُبُ الحَيَاةَ كَمَا يَرْتَدِي أَسْوَدَها
وَيَحْزَنُ.

❋

هَلْ كَانَ يُدْرِكُ أَنَّ الحُزْنَ
يُوَغِلُ فِي سَهْوِ الغِبْطَةِ بِحَذَرٍ صُوبَ
حَتْفٍ مجْهُولٍ؟
لَا أَحَدَ
كَانَ يَشُكُّ فِي فَدَاحَةِ الغِيَابِ
وَلَا أَحَدَ
ظَنَّ أَنَّ السَّاعَةَ سَتَكُونُ مجْرى
لِغِيَابٍ لَا يُفْضِي إِلَّا إِلَى مَصَبٍّ قَلِقٍ نَادِرٍ

فِي "رَسَائِلِ المَنفَى".

*

كَأَنَّهَا رَسَائِلُ مِنْ خُطَى الطُّيُورِ
سَتَذْهَبُ بِأَرْوَاحِنَا مَعَ قَلِيلٍ مِنَ الوَرْدِ إِلَى المَقَابِرِ الغَرِيبَةِ
كَيْ تَنَامَ إِلَى الأَبَدِ.

عَلى مَرْمَى مَقْهَى قَدِيمٍ

الغَريبُ المُغَطَّى بِمِعْطَفِ الخَيْبَةِ
يَمُرُّ يومياً بِحَائِطِ مَاضِيهِ،
الذي تَتَلوهُ الأسْلِحَةُ الخَاسِرَةُ
عَلى مَرْمَى مَقْهَى قَدِيمٍ
تُدِيرُهُ حَنَاجِرُ المُحَارِبِينَ.

نَزِيلُ المُتَاهَةِ

الرَّجُلُ الذي غَمَرَ خِطَابَاتِهِ العَاطِفِيَّةَ بِالبَخُورِ
ثُمَّ أَحْرَقَها
في قَارُورَةِ النِّسْيَانِ
نَزِيلُ المُتَاهَةِ
رَجُلٌ وَحِيدٌ
تَرَكَ الكَلامَ يَنْتَظِرُ مَوْعِدَهُ الأخِيرَ.

يَدُها الحَارِسَةُ على عِطْرِ أَبِي

قَبْلَ أَيَّامٍ، رَأَيْتُ وَجْهَ أُمِّي في زِحَامِ سُوقِ الزُّهُورِ،
وَلُذْتُ بِالعِطْرِ مِنَ السُّوقِ.

*

يَدُها الحَارِسَةُ على عِطْرِ أَبِي
لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ أنْ أُحْضِرَ عَرَّافاً لِلكَشْفِ عَمَّا وَرَاءَ العِطْرِ الذي أُحاوِلُ سَبْرَهُ.
أبي، كُنتُ أراهُ يَمُرُّ مِن هُنا، ولا يُريدُ التَّكَلُّمَ معَ أَحدٍ، لأَنَّهُ يُرِيدُ الاستمرارَ في أُسْطُورَةِ التِّيهِ إلى أَبَدِ العِطْرِ.

*

لِكُلِّ حُضْنٍ أَدَوَاتُهُ البُسْتَانِيَّةُ في تَصْلِيحِ أَعْطَالِ القَلْبِ.
أَنا أَعْرِفُ ذلك، وَأُدْرِكُ ما يُحاوِلُ التَّصْوِيبَ إليهِ.

*

تِيهُ الأَماكِنِ قد لا يُزَاحِمُكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، لَيْسَ غِيرَةً لِبُلُوغِ مَرَاحِلِ

التِّيهِ القُصْوَى في كُلِّ حُضْنٍ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الحَبَقِ، مَهْمَا اسْتَبْدَلَتِ الجُغْرَافِيَاتُ أَثْوَابَهَا مِنَ الأَمْكِنَةِ.

*

أَنْتَ مُتَمَرِّنٌ حَيَوِيٌّ على حِبَالِ التِّيهِ، وَلَكِنَّكَ لا تُعَوِّلُ عَلَيْهِ.

العَرَّافُ الأَعْمَى

العَرَّافُ الأَعْمَى
يَأْتِي دَائِماً في المَشْهَدِ الأَخِيرِ
يُلْقِي بِكَلِمَاتِهِ وَيَمْضِي...
لَكِنَّهُ الآنَ يَتَمَرَّدُ على الدَّوْرِ، يَتْلُو عَلَيْنَا وَصَايَاهُ
ويُلَقِّنُهَا لَنَا
صَرْخَةً
صَرْخَةً
في أُغْنِيَةٍ إِغْرِيقِيَّةٍ!

❊

تَلِيقُ بِهِ،
كَمَا يَلِيقُ البَجَعُ بِرُمُوشِ بُحَيْرَتِهِ.
يَلِيقُ بِهَا،
ويَسْكُنُ مُنْعَطَفاً فِيهِ وَحْدَهُ.

❊

مِنْ بُعْدٍ هَذِهِ الطَّرِيقُ
لا يَتْرُكُ أَثَراً فَتُلَاحِقُهُ الأَيَّامُ
ما هَمُّهُ كَمْ مَاتَ في الطَّرِيقِ.

أشواقْ

مَنَازِلُ تُحَرِّضُ على اليَقَظَةِ
ابْتِهَالٌ عَلَنِيٌّ
مَاذَا لَوْ حَرَّرْتَنِي مِنْ قَيْدِ الخَطَايَا؟

❋

مِنَ الصَّبَاحِ السَّاكِنِ إلى الرَّاسِبِ
مِنْ قَهْوَةِ الغِيَابِ
كُنْتُ عُمْقَ الأَجْرَاسِ في كَاتِدْرَائِيَّاتِ الوَحْشَةِ
نَقِيَّةً
مِثْلَ وَهَنِ الفَرَحِ
في الأَشْوَاقِ السَّعِيدَةِ!

تَغْرِيبَةُ "مَمْ"

فِي أَلَقِ المُتَاهَةِ،

أَلِفْتُ رَنَّتَهَا فِي سُطُوعِ المَسَافَةِ،

لُمْلَمْتُ قليلاً مِنَ الذِّكْرَيَاتِ الصَّغِيرَةِ.

كانَ "مَمْ" أَوْدَعَهَا لِلْمَوْعِدِ العَاطِفِيِّ،

مُغْتَرِباً مِنْ نَوَافِذَ تُغْوِيهِ، شَاهَدَهَا

أَوَّلَ الحَرْبِ، خَمْرِيَّةً

تَضَعُ الكُحْلَ بِالرِّيشَةِ الخَزَفِيَّةِ فَوْقَ الرُّمُوشِ.

غافَلَها حينَ مَرَّتْ،

ولكِنَّهُ اخْتَارَ مَوْتَهُ ثُمَّ اعْتَرَفَ.

*

"مَمْ" الهارِبُ مِنْ ثَأْرِ الحَياةِ

أَقْفَلَ بابَ الوِشايَةِ،

وهُوَ يُغادِرُ تَوْرِيَةَ العِشْقِ، مُرَدّداً:

الوَرْدُ سُورُ الخَطِيئَةِ.

مَنْ يَعْرِفُ الوَرْدَ مِثْلِي لا يَحْزَنُ
ولا يَشْتَكِي العُزْلَةَ.

❋

"زِين" البَرِيئَةُ
شَتْلَةٌ مَلْساءُ نَحِيفَةٌ
تَرْتَجِفُ
في كَسَلِ الخِيانَةِ.
بَلَلُ القَلْبِ بِتَعَبِ القَلْبِ
كَفِقْهِ النَّايِ.

❋

"مَمْ" يُمَرِّنُ جَسَدَهُ المَشْيَ خَلْفَ شَوْكَةٍ تَتَعَثَّرُ بِالنَّادِباتِ،
قَوِياً بِما يَكْفِي لِإِحْيَاءِ مَرْثِيَةٍ عَلى حائِطٍ نَقْشَبَنْدِيٍّ.

❋

"زِين" الشارِدَةُ مِنْ سِهامِ الوُشاةِ
إلى أَيْنَ تَسْعَيْنَ؟
كَسَرَتْ مَرايا الغُرابِ الأَخِيرِ

وهِيَ تَمْضِي
تَقِيسُ عُلُوَّ الوَجْدِ
لِتُنْجِبَ في التِّيهِ مَرْهَمَ الغَرامِ.

❋

غِيابُكِ أَعْمَى، وأَعْزَلُ أَيْضاً،
وهذا الطَّرِيقُ الطَّوِيلُ إِلَيَّ
وَحْدَكِ.

❋

عَلى طَرِيقِ مَرْقَدِهِمْ -
جَفَّتْ
أَوْراقُ الرَّيْحَانِ.

فِي بَارٍ قَدِيمٍ

فِي بَارٍ قَدِيمٍ
قُرْبَ مُتْحَفِ الأَسْلِحَةِ المَلَكِيَّةِ
صَخَبُ أُنْثَى مَسْكُونٌ بِهَوَسِ جُنُودٍ
يَتَدَرَّبُونَ على التَّعَامِي
سَأَلْتُ نَفْسِي
وأنا أَكْتُمُ خَشْيَتِي من دَفَعَهَا
لِلصَّخَبِ فِي حُضْنِ الجُنْدِيِّ
العَائِدِ مِنْ كَمِينٍ
بِسَاقٍ وَاحِدَةٍ.

أعْمَى يَقُودُ الضَّوْءَ

الأَعْمَى يَقُودُ الضَّوْءَ
إلى عَصَاهُ،
يَكُشُّ العَتْمَةَ.
لَيْسَ ثَمَّةَ أَقَلُّ إِشَارَةٍ
لِتَحْوِيلِ الأَلَمِ إلى حُبٍّ.

تَمُوتُ المَدِينَةُ الغَارِبَةُ على ظِلِّكِ

تَمُوتُ المَدِينَة الغَارِبَة على ظِلِّكِ،

أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ،

تَمُوتُ المَدِينَة الغَارِبَة على ظِلِّكِ،

تَتَّشِحُ بِأَصْفَرِ خَرِيفِكِ.

مَاذَا سَتَحْمِلِينَ مِنْ غِيَابِ المَوْتَى

وَهُمْ يَسْنِدُونَ بِرُؤُوسِهِمْ إلى جِذْعِكِ

ويَهْمِسُونَ أَعْمَارَهُمْ على وَحْدَتِكِ،

يَلْصِقُونَ بِصَمْغِكِ نَعَوَاتِهِمْ

ويَدْهِنُونَ جِرَاحَهُمْ

بِشِجَارِ الرُّوحِ والأَشْيَاءِ،

بِلَكْنَةِ حَفِيفِكِ المُثْقَلَةِ بِالعَنَاءِ

كَي لا نَنْصَرِفَ عَنْهُمْ

وَعَنْكِ...

وَحْدَكِ، أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ،

تَلُمِّينَ شَمْلَهُمْ

وتَذْرِفِينَ أَعْمَارَهُمْ البَاقِيَةَ.

وَحْدَكِ،

تَمُدِّينَ مَتَاعَكِ عَلَيْهِمْ

وتَذْرِفِينَ العَاطِفَةَ

كَي يَتَسَامَرُوا

ويَبْقَى لِصَوْتِهِمْ حَدِيثُ شَايِ الأَمْسِ.

وَحْدَكِ،

كُنْتِ تُحْصِينَ النَّوَافِذَ المَفْتُوحَةَ عَلى بَقِيَّةِ آثَارِهِمْ

وهُمْ يَتَعَطَّرُونَ بِالمَوَدَّةِ.

وَحْدَكِ،

عَلى الأَقَلِّ، أَمِينَةٌ كَعَادَتِكِ، تَتَنَهَّدِينَ بِأَخْبَارِنَا

كَي يَسْتَطِيبُوا بِالإِقَامَةِ

فَيَحْتَفُونَ وَلا يَرْجِعُون.

وتُقَوِّلِينَ عَلَيْهِمْ بِأَقَاوِيلَ شَتَّى مَرِحَةٍ،

مُخَافَةَ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ مُزْحَةً أُخْرَى مِنْ مُزْحَاتِهِمُ الَّتِي تَعَوَّدْنَاهَا

مِنْهُمْ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ مُتَبَادَلٍ.

المَنْفِيُّونَ إِلى كَاهِلِ التِّيهِ

المَنْفِيُّونَ إِلى كَاهِلِ التِّيهِ
أَرَقٌ يَوْمِيٌّ،
صَوْتٌ أَعْزِفُ عَنْهُ
وَلَكِنَّهُ يَدْخُلُنِي،
يَتَسَرَّبُ فِيَّ
ويَحُثُّنِي عَلى الحَدِيثِ إِلَيْهِمْ
قَبْلَ أَنْ يَتَسَاقَطَ الصَّدَأُ
مِنْ حَنْجَرَتِي المُعَطَّلَةِ عَنِ العِتَابِ.

*

المَنْفِيُّونَ إِلى كَاهِلِ التِّيهِ
بِلَعْنَةِ الصَّبْرِ،
كَي تَقُولَ الرُّمُوزُ أَغَانِيهِمْ فِي مِهْنَةِ المَغْفِرَةِ.
أَدْمَنُوا خَدْشِي بِالمَجَازِ الطَّيِّبِ
وغَادَرُونِي.

أَخَذُوا قِطْعَةً مِنْ جَسَدِي مَعَهُمْ

لِأَتَذَكَّرَهُمْ بِهَا.

رَسَمْتُ الصَّمْتَ ونَسِيتُ نَفْسِي فِيهِ

لَقَدْ رَسَمْتُ الصَّمْتَ ونَسِيتُ نَفْسِي فِيهِ،
بَيْنَ رُكَامِ الذُّهُولِ
وبَيْنِي.

❋

لَكَمْ هُوَ خَالٍ هَذَا اللَّيْلُ
حَيْثُ
المَدِينَةُ مَأْهُولَةٌ بِالغَرِيبِ.

عَاطِفِيَّةٌ هَذِي المَرَاثِي فِي مَهَبِّ الحَيَاةِ!

فِي غِيَابِكَ

أُدِيرُ أَحْجَارَ رَحَى القَصَائِدِ المُمِلَّةِ

مِثْلَ عُصْفُورٍ يَنْقُرُ الوَحْشَةَ.

❋

أَنْتَ مَا أَنْتَ بَيْنَنَا.

كَمْ هِيَ عَاطِفِيَّةٌ هَذِهِ المَرَاثِي فِي مَهَبِّ الحَيَاةِ!

❋

ثُمَّ، مَا كُلُّ هَذِهِ المَرَاثِي

تُمْسِي مَجَرَّةً لِغَرِيبٍ مِثْلِي.

❋

رَمَادُ مَدِيحٍ يَرْوِي سِيرَتَكَ عَلى تِمْثَالِ سُنْبُلَةٍ رُخَامِيَّةٍ

لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى ذِكْرَيَاتِ وُجُوهِ الَّذِينَ

يَمُرُّونَ أَسْفَلَهُ،

حَيْثُ دَكَّةٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى "إِيثَاكَا"
سِيرَةُ "كَافَافِيسَ" المَهْمُومِ بِالعَوْدَةِ.

البُسْتَانِيُّ الأعْمَى

الأَزْهَارُ الَّتِي تَقُودُكَ إِلَى رَائِحَتِهَا

بِعَصَا الضَّوْءِ

دُونَ شَكٍّ

كَانَتْ ثَمِلَةً بِنبَاهَتِكَ

غَيْرَ أَنَّهَا تَعَضُّ عَلى أَصَابِعِكَ

تَتَأَمَّلُ نَفْسَهَا مَلِيّاً، عَارِيَةً، فِي ضَوْءِ عَصَاكَ

وتَسْأَلُ عَنْ غَدِهَا

بِكُلِّ هَذَا الضِّيقِ

مَمْشىً لِلْبَهْجَةِ.

مَطَرٌ
يُبَلِّلُ أيَّامَنَا بِالجُنُودِ

ثَمَّةَ عَالَمٌ

تَابُوتٌ

غَيْمٌ حَجَرِيٌّ

أَرَقُّ مِنْ فَخْذَيْ عَارِضَةِ أَزْيَاءٍ

ومَطَرٌ

يُبَلِّلُ أَيَّامَنَا بِالجُنُودِ.

*

ذَهَبَ النَّوْمُ إِلَى الحَرْبِ

فِي شَوَارِعَ صَافِنَةٍ تَطْعَنُهُ

بِحَرَائِقَ لا تُتْقِنُهَا

مُعْتَذِراً

أَنَّهُ يُشْغِلُ الآخَرِينَ بِأَوْهَامِهِ

ويُسَبِّبُ لِلتَّائِهِينَ هَذَا التَّعَبَ.



ثَمَّةَ صَمْتٌ يَكْتَهِلُنَا هُنَا
كَمَائِنُ مِنْ مَجَازٍ
وعَلى مُقْرَبَةٍ مِنْهُ
امْرَأَةٌ تُخَمِّنُ غَزْلَ البَرَاءَةِ:
"امْنَحْ فَمِي قُبْلَةً
يَبْتَهِلُ
صَمْتُكَ وصَمْتِي".

إلى «آلان»

كُلُّ الجَمِيلاتِ
عَلى جَمْرٍ مَشَيْنَ إِلَيْكَ
حَافِيَاتٍ.
اجْتَمَعْنَ
لِيَخْتَرْنَ لَكَ أَنْبَلَ القَاتِلَاتِ.

الحَنِينُ نَاسِكٌ يَسْكُنُهُ الكَلَامُ

الحَنِينُ بِمِعْمَارِهِ
كُلُّ السُّكَّانِ فِيهِ
عَازِفُونَ
يُشَيِّعُونَ التَّرَاتِيلَ
بِصَوْتِهِ، فَنُصْغِي إِلَيْهِ.

❋

كَاهِنٌ لا سِلَاحَ فِي قَبْضَتِهِ سِوَى غُصْنٍ يَقْطُرُ حَرَساً
مِنْ غُبَارٍ فِي رِيحٍ
تَقُلُّهُ مِنْ لا شَيْءَ إِلَى لا شَيْءٍ؟

❋

نَاسِكٌ يَسْكُنُهُ الكَلَامُ
ويَنْظُرُ مِنْ عَيْنَيْ أَعْمَى،
كَأَنَّهُ مُحَارِبٌ بَرِيءٌ يُطَارِدُهُ ثَأْرٌ قَدِيمٌ.

إلى يانا:

رُخَامُ يَدِكِ البَارِدَةِ
انْتِقَامُكِ المَلْحَمِيُّ
كَانَ مَوْجُهُ يَطْرُدُ النُّعَاسَ عَنْ قَلَقِي.

*

أُقَلِّمُ العَتْمَةَ
كَآخِرِ مُحَارِبٍ فَوْقَ وَادِي المَوْتَى يَبْكِي الشَّمْسَ.

*

مَا تَحْمِلُهُ تَرَاتِيلُ النَّائِحَاتِ
ومَا سَأَرَاهُ قَرِيباً عِنْدَ دَكَّةِ الغِيَابِ
قِصَصٌ قَدِيمَةٌ
وأَحْجَارٌ عَرِيقَةٌ
وفُسَيْفِسَاءُ تَحَطَّمَتْ
فَوْقَ عُشَّاقٍ قُدَامَى.

❊

غَرَسَنِي "الخَانِي" فِي حَدِيقَةِ العَارِفِ
وقَطَفَتْنِي عَاشِقَةٌ فِي حُلْمٍ قَدِيمٍ.

❊

مَا هَذَا الحُلْمُ الَّذِي يَسْكُنُ "مَمْ وَزِينْ"؟
هَلْ كَانُوا مَا يَزَالُونَ مُتَعَانِقِينَ؟

❊

فِي كَهْفِ "جَارِسْتِينْ" يُوَبِّخُ العَارِفُ عَيْنَيْهِ:
"فِي وَجْدٍ زَرَادُشْتِيٍّ
كَاهِنَانِ ضَرِيرَانِ يَعْبُرَانِ
جِسراً حَجَرِيّاً فِي كَهْفِ "جَارِسْتِينْ"
يَتَحَسَّسَانِ طَرِيقَهُمَا بِأَيْدِيهِمَا
كَي يَلْمَسُوا شَوْقَهُم بِعُيُونٍ بَاكِيَةٍ".

❊

جُلُّ مَا يَرْغَبُ بِهِ غَرِيبُ الوَجْدِ مَوْتٌ بِلَا شَظِيَّةٍ.

شَرَاكَةُ النِّسْيَانِ

أَرْمِي بِنَرْدِي
أَبْحَثُ
عَنْ صَدْرٍ لِإِيوَاءِ أَيَّامِي.

❋

مُنْذُ أَنْ هَرَبْتُ مِنْ شَرَاكَةِ النِّسْيَانِ،
أَصْطَدِمُ يَوْمِيّاً بِذَاكِرَتِهِ.
يَبْتَسِمُ لِي
ويُعَلِّقُ مَفَاتِيحَ أَبْوَابِهِ
عَلى مِشْجَبِ الأَوْهَامِ الَّتِي تَلُمُّ الذَّاكِرَةَ.

إلى ماريا:

نِيابَةً عَنِ الشَّوْقِ.

❊

فِي لَيْلٍ
لَا يَتَوَسَّدُ الخِفَّةَ
سَنَلْتَقِي فِي حَانَةٍ
جَنُوبَ اللهِ
قَبْلَ 20 عَاماً
عَلى شُرُفَاتٍ سَادِرَةٍ
فِي الغِيَابِ!

❊

أُحَاوِلُ أَنْ أُرَبِّيَ بَصَرِي
عَلى رُؤْيَاكِ
فَلَا تَغِبِي طَوِيلاً

لَا أَعْرِفُ طَرِيقِي.

❋

يُحَيِّينِي الطَّرِيقُ

حِينَ يَسْمَعُ كَلَامَ

أَقْدَامِي.

❋

كُلَّمَا تَعَثَّرْتُ

سَمِعْتُ صَوْتَ أَبِي

الْمُتَوَفَّى عَامَ 1987

"اِنْهَضْ"..

❋

شُكْراً لِلْوَقْتِ،

حُوذِيٌّ يَقُودُ اليَقَظَةَ

غَيْرَ عَابِئٍ

بِالهَزَائِمِ..

والطَّرِيقُ الْمُمتَدُّ

مَمَرٌّ لِلتَّعَبِ
يَسْنُدُ سُعَاةَ
عَابِرِيهِ.

كُونْشِيرْتُو طَوِيلٌ

كُونْشِيرْتُو طَوِيلٌ
لِمَايِسْتْرُو المَدِينَةِ النَّائِمَةِ

❋

فِي المَدِينَةِ النَّائِمَةِ
يَمْتَزِجُ صَوْتِي
بِصَمْتِهَا الوَحْشِيِّ
أَغْرَقُ بَيْنَ الحِينِ والحِينِ فِي مِعْطَفِي،
أُسْرِعُ الخُطَى كَأَنَّنِي الهَارِبُ.

❋

حَانَاتٌ تَعْزِفُ عَنْ دَعْوَةِ المَوْتَى
حَيْثُ لَا مَكَانَ تَذْهَبُ إِلَيْهِ سِوَى أَكْمَامِكَ
لِلْبُكَاءِ.

❋

فِي المَدِينَةِ النَّائِمَةِ

شَخْصٌ مَا يَهْذِي بِالمَسَرَّاتِ

بَيْنَمَا أَكْتُبُ

عِنْدَمَا أَمُوتُ، أَعْرِفُ مَا الَّذِي سَأَفْتَقِدُهُ:

عَبَقُ الزُّهُورِ البَرِّيَّةِ

الأَجْزَاءُ المَفْقُودَةُ

مِنْ ذَاكِرَتِي.

❋

فِي المَدِينَةِ النَّائِمَةِ

الشَّوَارِعُ تَغْرَقُ فِي الصَّمْتِ

مِثْلَ الأَيْدِي فِي مِعْطَفِ فَرْوٍ

تَبْحَثُ عَنْ حُضْنِ المَسَرَّاتِ

كَي تَنَامَ.

❋

مُدَاوَلَاتٌ

هُنَاكَ، حَيْثُ سَالَ دَمُ القَرَنْفُلِ

بَقَايَا كَافِيَةٌ لِلنُّعَاسِ العَاطِفِيِّ

تَمَارِينُ لِلْمَجَازِ

كُونْشِيرْتُو طَوِيلٌ

لِمَايِسْتْرُو المَدِينَةِ النَّائِمَةِ.

*

نَحْتَاجُ أَزْهَاراً مَجْهُولَةً

لِتَغْطِيَةِ أَجْسَادِنَا المَنْسِيَّةِ فِيهَا.

نَحْتَاجُ أَزْهَاراً يَقِظَةً

نُحَاوِلُ بِهَا إِخْفَاءَ هَذِهِ المَسَرَّاتِ كُلِّهَا.

مِثْلَ مِيدُوزَا أَعِيشُ وَحْدِي

فِي العُزْلَةِ – نَادِراً مَا أَكُونُ وَحِيداً –
لَا أَعْرِفُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عُصَاباً وأَيَّ شَيْءٍ آخَرَ.

❋

مِثْلَ مِيدُوزَا أَعِيشُ وَحْدِي
فِي الغُرْفَةِ الهَادِئَةِ–
فِي هَذَا التِّيهِ مِنَ القَصَائِدِ – تَمَاثِيلُ
لِأَحْزَانِي الفَاتِنَةِ.

❋

عَلى مِلَاءَةٍ رَطْبَةٍ عَلى سَرِيرٍ قَدِيمٍ
دَخَلْتُ حُلْمَكَ حِينَهَا
الآنَ يَخْفِقُ عَلى جَبْهَتِي
يَمْتَلِكُ رُوحِي العَارِيَةَ.

❋

طَرِيقِي فِي دَاخِلِي قَدْ ذَهَبَ
لَقَدْ خَمَّنْتُ ذَلِكَ
أَيُّهَا الغَرِيبُ!

❊

صَبَاحُ الخَيْرِ: أَيَّتُهَا الحَدْوَاتُ المُعَتَّقَةُ عَلى بَابِ المَاضِي!
صَبَاحُ الخَيْرِ: أَيَّتُهَا السَّاعَاتُ المُعَتَّقَةُ عَلى مِعْصَمِ السِّيرَةِ!

لا تقتل الطريق في غفلة السرد

صوفيا التي على بُعدِ ذراعٍ أرثوذوكسيٍّ من عذوبةِ أورفيوس
تنبشُ اسماً منزليّاً
لوحدةٍ قاسيةٍ جعلتني جُزءاً معطوباً من الغربة،
وكنتُ قبلَها في حجابِ قلبي فكشفتني للغريبِ الذي أخفيتُهُ في الحقيبة،
كيف أمشي وحقيبتي تأويني وحقيبتي في يدي؟
كادِرُ الهجرِ قلبي: تحطمهُ قيثارةُ أورفيوس.

*

في آثارها،
يُساقُ القلبُ مثلَ لثغةٍ، يُساقُ إلى فصيحِ الغبطة:
"مَن نظرَ خلفَهُ ضاعتْ سعادتُهُ إلى الأبد".

*

كلما زارني الشجنُ الصقلبيُّ

يصبحُ الألمُ منزلاً

والهواءُ معنى

تستظلّ به آخرُ القصائد..

❋

في الليلةِ الطويلةِ؛

حدثتني .. بما كان

امرأةٌ ترعى الوعولِ في زغبِ المواعيدِ

القديمة،

تستجدي ناياً في باراتِ أورفيوس

وهو يجهشُ "يوريديس".

❋

تأكلني الغبطةُ

ولا أتذكر قدرتي على التنفس

غداً.

إن شئتَ الهروبَ من الحبّ
اذهب إليه

في الحبّ، كما في الحربِ أحياناً،

نرى أواخرَ الأشياء

ونرفعُ راياتنا البيضاء

حيثُ لا ذخيرة تكفي من الندم.

❋

إن شئتَ الهروبَ من الحبّ

اذهب إليه.

❋

في الكتابِ القديم:

ستصبحُ الحمى القادمةُ من نزالٍ قديمٍ عناقاً صادقاً

ثم يصبحُ العناقُ الصادقُ حمىً قديمةً.

❋

لن نحكي عن بياضِ الغياب

ولتكن الحربُ ما بيننا

وحيدين:

لا جُندَ عندي

ولا جُندَ عندكِ.

❋

عليكِ عينايَ وفي يديكِ رعشةُ جسدي الهشّ

يدي ويداكِ،

وعلى يدي عيناكِ.

❋

مَن عضَّ شفتيكِ

سألتقطُ بُذورَ الرَّيحانِ

ولن أُكرِّرَ عاداتي السَّيِّئَةَ،

مثلَ تَعْويذَةٍ "كشَّ" الخَشْيَةِ.

❋

كلُّ شأنٍ شأنُه،

مريضٌ يتداوى من الصّحّة،

هذه المتعةُ الغامضةُ؛

في عضلةِ الذاكرة.

❋

تبتسمينَ

وتشتمينَ بالذاكرة.

نبتسمُ

ونشتمُ بالحرب.

حانَ ترميمُ المطلقِ،

حانَ المترمّمون.

صورةُ المسافرِ القديمِ

في الأزرقِ المالحِ

أحفرُ

مأوى لي

ولكِ.

❋

ألبسُ ثيابَ الهجر

وليس لدى الهجرِ ثيابٌ كثيرةٌ

كلُّ ما لديه

بدلةٌ واحدةٌ للاحتفاء.

❋

مرحُ الليلِ، ياسمينةٌ سوداءُ،

هنا مدنُ الله،

وأنتَ معقودُ اللسانِ، ولا إلهَ

يحتفي بكَ؛

❋

في الهجرِ

صورةُ المسافرِ القديمِ

وليمةٌ من فناجينِ القهوةِ

حولَ بصّارةٍ تفسّرُ خُردةَ

الكلام.

❋

هزيمةُ الأمّهاتِ

إذ يغسلنَ ثيابَ من تبقّى من الأبناء

شارداتٍ خلفَ من غاب.

❋

في الهجرِ

نخسرُ فيما نخسرُ

هيبةَ الحياة.

مجازُ الألمِ

قلْ شيئاً!

أَنْ أَرْكُضَ بجانبِ غيابِكَ.

قِسْ معي مجازَ الألم،

لأنّ الأمسَ محتلٌ

جعّدته العتمة.

❋

صوتُ الناي

يقولُ ما أفكرُ به.

أنتَ لم تزلْ تصبُّ الصمتَ في زجاجةٍ،

وأنا أشربُ من تخيُّلي لكَ.

❋

الأيدي التي لم نلامسها تموتُ

من الوحدةِ

والأحلام التي لم نرها

تموتُ من كثافةِ العتمة.

ليس لي تستمرُّ وحدتكَ أيّها الغريب

في الوحدة، انزع زيَّ البعيد وأدخل صورة العائلة

ليس لي تستمرُّ وحدتكَ،

أيّها الغريب.

❋

عارياتٌ يَشْمُتْنَ بالسّوادِ

ثم يخرجنَ إلى النهارِ الميتِ

بحطامٍ أبيض.

❋

امرَأَةٌ تبحثُ عنِ الوقتِ

بعدَ وفاتِها

ليتني أعثر عليها في ضاحية الزمن.

❋

ذكّريني أن أروي إقامتي في جفنيكِ،

فهناك شعاعٌ في مكانٍ ما...

قد لا يكون كثيفاً،

لكنه يزيحُ الظُّلْمَة.

*

كان لي مجموعةٌ من الأصدقاءِ غرسوا وساوسهم في الحديقة.

جاءت العاصفة

فتبعثروا.

الطريقُ إلى صوفيا

طريقٌ تتذكرُ

كلَّ الخطى الضائعة

طريقٌ تنتظرُ

أينَ أوصلتَ روحكَ؟

إنَّ الطريقَ تؤدي إليّ

ولكنني

خائفٌ من سؤالي؟

أعرفُ هذا الطريقَ كلَّه ...التفاصيلُ كلُّها

لكنني...

اليومَ، متكئاً، كجنديٍّ أعمى، على طعنتي..

أضلُّ الطريقَ إليكِ.

❊

مدينةٌ واحدةٌ في القلب

حتى يكون الرحيلُ مرّاً.

❋

لا علمَ بالغريبِ

سوى الفراشةِ ليلاً

في مقهى الصيفِ الفائتِ في صوفيا.

❋

كان وجهُها حديقةً تقذفني بالوردِ الدمشقيّ.

❋

هل أدركتَ الآنَ أنكَ نشأتَ في دمنا وردةً، روحُها الاختلاف؟

❋

أنا وحدي أشتاقُ إلى أمركَ

أنا وحدي

أقيسُ رغبتكَ.

❋

كم متُّ قبلَ الآنَ

وإذا وعدتُ أعودُ.

أعودُ إلى ذراعي امرأةٍ مريضةٍ بي، وَوَجْهِ إبنيَ الوحيد.

قمر أزرق

كان صقراً يمزّقُ أجنحةً

ويدفنُ صغارَهُ في السماء بعد أن أخفق في حفرِ قبرٍ هوائيّ.

كان يشغلني هذا الملاك

الخائف منذ أيام.

❉

قمرٌ أزرقٌ ينيرُ حقلاً أرى فيه عباءةً تتبعُ شاعراً حافياً.

❉

بجعةٌ وحيدةٌ

تبدو في الزرقة مثل وشاحٍ أبيض؛

تراها حزينةً كبحيرة.

❉

تبدو العصافيرُ والنواقيسُ في نقاشٍ طويلٍ

حولَ شكلِ القُدّاس.

❋

غجرياتٌ

على سريرهن المتعبِ يترصدنَ ديكَ الصباح.

❋

غيمةٌ ضائعةٌ تبحثُ عن مأوى

أدعوها لتبقى في جيبي

كي لا تغرق.

من لها إذا تعثرتْ في الطريق

إلى ميشيل

كنّا ذلك الذي يحلو له أن يترك النوافذ مفتوحةً خلفه

كي يستردُّ عادةَ الغناء

ويغادرُ نفسه إليها...

❋

قمرُ الطفولةِ بنفسجيٌّ،

لكنَّهُ يصيرُ أصفرَ

في المُدُنِ الميّتة.

❋

طفولةٌ

قَتَلوا فيها الطقوسَ جميعاً،

لكنَّها لم تأبه...

إن كانت مشاعرُهم سيّئة.

*

مَن لها إذا تعثّرتْ في الطريق،

بحذائها المُبتَلِّ،

والمتاهاتُ ضيّقةٌ...

لعلّها الفارقُ المفصليُّ

بينَ الوحدةِ والشوق.

*

وللطفولة... مزايا... كثيرة؛

إنها أيضاً... لا تكبرُ ولا تشيخ؛

وحدها عجلاتُ أحلامٍ

قادرةٌ على الحركة.

*

ملاذٌ يحفرُ وداعاً:

كنْ حزيناً

كمصباحٍ

يقف بعيداً.

❋

طوبى لك!

وأنتَ ترحل..؟!

حاملاً مِذراةَ الأحزان...

منديلك المثقل بمِعْمارِ النهر

منديلُك المثقلُ بمِعْمارِ النهر
كأنهُ
ورثَ كلَّ الينابيعِ المفقودةِ في الحرب
ما فائدةٌ أن تنظري إلى حدوةِ الحصانِ المعلَّقةِ على بابِ القلب؟
صوتُ بكائهِ مدهشٌ
كرطانةِ صلاةٍ ثقيلة!

*

كأنَّ معطفَك المعلَّقَ على مشجبِ الخشية
عطرٌ قديمٌ
تركَ انتظارهُ هنا!
يستلُّ منّي وجهَ الحيرةِ
ويتركني قتيلاً
لا وراءَ لنا، لنلجأ إن أتانا الموتُ، فالحنينُ يضني
لكنَّنا لن نشرَبَه

كما الله في غيابه

عزاءٌ في التيه.

فوضى أوغسطس.. فوضى العُزلة

أغسطسُ موعدٌ غراميٌّ،
وتذكرةُ حفلٍ
للأصدقاءِ القُدامى

❊

نحيلٌ بطعمِ القرفة
يكافحُ جفافاً عاطفيّاً
مرهقاً بوجوهٍ غائبةٍ
وأخرى ستغيب..

❊

قميصُ عاشقٍ انتحر
وهو يعبرُ التيه،
بين خشخاشِ الله،
ورائحةِ موتٍ قريبٍ

تلفحُ المكان.

❋

أحمرٌ

كَعَلَمٍ فوقَ مقهى عتيق

كما ينبغي للأحمر أن يكون

حُمّى للمواعيد.

❋

أخرسٌ يتخيّل طعمَ الغناء

يُحاولُ العزفَ على نوتةِ

المستحيل.

حين تذبلُ النجومُ على كتفيه

لم يكن طروادياً،

ولم يتنبّأْ كاهنُ الموتى باعتزاله.

❋

قدرهُ

أن يذرّ

في عمى الحياةِ

بصيرته.

❋

حين تذبلُ النجومُ على كتفيه

يزيحُ المحاربُ الضجرَ

ويخلعُ نبضَ الغياب.

❋

جريءٌ

كقطيعِ غزلانٍ تصعدُ الليلَ دوماً
بكاملِ أناقتها ومِسكِها.

❊

ما أجملَ الحياةَ ونحن نهتزُّ فوق
حبلِ الهاوية.

في ميدان التيه

فيِ ميدانِ التيه

يغني الحوذيّ الترنيمةَ التالية:

"هذا الحصانُ القاسي

لا يصدرُ أيَّ أنينٍ

سوى حمحمةٍ وهو صوتُ حنينٍ ليرقّ له صاحبه".

إنه يؤلمني، وأنا كسولٌ حقاً

في قياسِ الصهيلِ الخافت..

*

في رئتيه الضّيق

لما يلبسني تيهُك؟!!

تيهُك الذي أحبّه

الذي أنتظره، الذي أتقرّب به إلى

طفولتي التي تُعلّمني كتابةَ الألم

والنبوة.

❉

على حافةِ الاشتياق

قبرُ الضوءِ في كلِّ مكان.

❉

حينما تكون الأحزانُ موروثاً شعبيّاً

تكون السعادةُ فسحةً للاشتياق.

❉

أَطبِقْ جفونَك،

وخذني إليك...

❉

تذكّرتَ أنك وحدك التائهُ كنبيّ

أما آنَ أن تعترفَ برؤياك، أو تخسرَ كلَّ شيء..

تفاؤل رثائي

عَلَى رَصِيفِ الغِيَابِ
كَبِرْتُ...
وَلَمْ يَكْبُرْ مَعِي الغِيَابُ.

❋

وَحْدَكَ عَلَى الطَّرِيقِ - هَلْ سَتَعُودُ أَمْ سَتُغَادِرُ مَرَّةً أُخْرَى -
غَيْرُ مُبَالٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، هَلْ سَيُحَوِّلُ العَالَمُ نَظَرَهُ إِلَيْكَ؟

❋

لَا شَيْءَ يَمْشِي
أَكْثَرَ مِنْ غُرْبَةٍ
فِي الطَّرِيقِ.

❋

سَأَشْتَاقُكَ
كَظِلِّي

فِي

عَوَاءِ

الوَحْشَةِ.

❋

انتظرتُكَ مساءَ الغَدِ،

كرائحةِ القهوةِ العبثيّةِ القديمةِ

في المقهى الذي ردّد عليَّ

روّادُهُ شوقي.

أريدُ أن أصبحَ جُرحاً،

أريدُكَ أن تصبحَ وجهه،

لأخيطَك إلى جفنِه،

وأكونُ قادراً على القولِ أخيراً:

أنتَ ضلعي الأخير!

حين تجنُّ النايات

فِي خَمْرَةِ اللَّوْعَةِ
الَّتِي أَرَاهَا بِعَيْنِي الثَّالِثَةِ فِي فَمِي
تَبْدَأُ جُرْعَةُ الحُبِّ عِندَ أَوَّلِ مَعْبَرٍ سِرِّيٍّ حَيْثُ الدَّهْشَةُ تَحُومُ
بِأَجْنِحَتِهَا،
هُنَاكَ حَيْثُ الوَلَهُ المُخْتَلِفُ.

❋

مِنَ اللَّوْعَةِ تَعَلَّمْتُ أَنْ لَا أَشْكُو وَلَا أُعَاتِبُ
وَمِنَ الوَلَهِ لَمْ أَتَعَلَّمِ الحِكْمَةَ،
يَطْلُعُ مِنْ عَضَلَةٍ دَاخِلِيَّةٍ، لَهُ مَا لِلسِّحْرِ العَاطِفِيِّ مِنْ أَثَرٍ عَلَى
جَسَدِ أُنثَى،
اخْتَرَقَ جِسْمَهَا سَبْعَةٌ مِنْ بَرَاعِمِ الوَرْدِ
وَإِبْرَةٍ.
ظَنَنْتُهُ

مَاضٍ يَقْتَفِي أَثَرَهُ
فِي اَلْمُتَاهَةِ، ذَاكَ الَّذِي يَتَسَلَّلُ بِأَعْشَابِهِ إِلَى حَوَاسِّي.

كَعَطَرٍ ضَائِعٍ فِي سَرِيرٍ

اللَّيْلُ أَبْيَضُ
وَالصَّمْتُ فَضَاءٌ لِلْكَسَلِ الغَرَامِيِّ
يَرْتَمِي مَنْهَكاً، يَهْلِكُ فِي حَنَانِهِ،
تَمَاماً كَعَطَرٍ ضَائِعٍ
فِي سَرِيرٍ.

❋

لَيْسَ لِي عَصَا كَي أَهُشَّ بِهَا
هُدَأَةَ العَتْمَةِ
عَلَى تُرَابِ حَديقَةٍ حَلَّتْ فِيهَا رُوحُ
نَبْضَةٍ قَدِيمَةٍ
تَحْرُسُ الغِيَابَ.

الطَّائِرُ الَّذِي يُسْنِدُ جَنَاحًا مِنْ مَوْتِي

الطَّائِرُ الَّذِي يُسْنِدُ جَنَاحاً مِنْ مَوْتِي
أَسْنِدُ دَمْعاً مِنْ جُفْنِهِ.

*

طُفُولَتِي
كَانَتِ الشَّمْسُ مَقِيَّدَةً بِي.
عِندَمَا كَانَتْ نَائِمَةً.
(طَارَدْتُهَا لَيْلاً أَمْشِي بَيْنَ السَّحَابِ.
وَكُنْتُ أَلْتَقِطُهَا).
فِي غَمْرَةِ ذَاكَ اَلْمِعْمَارِ الوَاهِمِ، نَسِيتُ مَصِيرَهَا كَهَارِبٍ.

*

فِي ذَاكَ اَلْمَمَرِّ الَّذِي كَانَ يَحْلُو لِي أَنْ أَجِدَكِ فِيهِ
كَانَتِ الحُرِّيَّةُ.

إلى المنفى كاهن الملامات:

عَلَى قَبْرِهِ لَمْ أَضَعْ زَهْرَةً
وَإِنْ بَاغَتَتْنِي المَوَدَّةُ
فَلَنْ أَمْلِكُ البُكاءَ.

إلى راعية المراثي:

سأركلُ المتاهةَ
كالمنبوذِ في لجّةِ الندم،
وأُنشدُ سيرتَكِ المُرَّةَ.
منديلُكِ الكتانيُّ،
تعويذةُ أسفاري.
هذه العزلةُ الجليلةُ... للأبد!

إلى دينوكا «بريفا»:

سَأَذْهَبُ فِي أَثَرِ اَلتَّارِيخِ الَّذِي يَمْشِي صَوْتاً،
لِأَنْفُضَ عَنْ قَبْرِكَ غُبَارَ اَلجرارَاتِ الَّتِي تَحْرُثُ
فِي اَلعِتَابِ
لِأَزِيلَ هَذِهِ اَلْأَعْوَامَ الَّتِي تَمُرُّ،
كَقَطِيعِ غَزَلاَنِ
كَانَتْ تُرَتِّلُ مَرْثِيَّةَ اَلْعَائِدِ
فِي الآثار اَلضائِعَةِ لِصَوْتِكَ.

إلى الوعل الولي:

اَلْوَعْلُ الَّذِي هَجَرَ الرَّبَّ
لِأَنَّ الجَماجِمَ تَحْلُمُ بِعَيْنَيْهِ
وَهُوَ يَرْفَعُ قَرْنَيْهِ
طُمَأْنِينَةَ أُنْثَاهُ إِلَى اَلْأَزْرَقِ
لِيَجِدَ نَفْسَهُ عَاجِزاً
فِي اِقْتِحَامِ
ذَٰلِكَ الرَّمَادِ الَّذِي يَمَزِّقُهُ، الآن.

إلى سيدي الحنين:

اَلحُوَّذِي الأعمى

وَهُوَ يَقُودُ الشَّوْقَ إِلَى اَلبُحَيْرَةِ بَعِيداً عَنْ اَلْأَشْبَاحِ كَيْ يَسْتَحِمَّ بِعَيْنَيْهَا اَلْمُضِيئَتَيْنِ، قَبْلَ أَنْ يُشِيدَ اَلمَوْتُ لَهُ عَرْشاً.

موت البحيرة

كَيْفَ لِي أَنْ أُقْنِعَ اَلبَجَعَ بِمَوْتِ اَلبُحَيْرَةِ، وَأَنَا أَرَى اَلزُّرْقَةَ تَوَدِّعُ عَيْنَيْهِ، الآن، فِيمَا جَنَاحَاهُ تَرْتَبِكَانِ بِصَمْتٍ

كَيْفَ لِي أَنْ أُقْنِعَ مُقَلَّ اَلعَابِرِينَ، وَأَنَا أَرَى بَيَاضَ رَقْصِهِ الَّذِي مَا عَادَ يَعْتَلِيهِ؟

كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُقْنِعَ نَفْسِي بِجَلَالَةِ حُزْنِهِ

كَي لَا نَنْتَهِي جَمِيعاً إِلَى فَزَعٍ غَامِضٍ

وَلَمْ نَجِدِ اَلوقت كي نقنع العَابِرِينَ

هُنَاكَ،

فِي اَلمَنفَى،

بِمَوْتِ اَلبُحَيْرَةِ.

الوعلُ الذي يرفع بخار الوحشة

الوعلُ الذي ينثرُ بخارَ الوحشةِ

في قفزهِ العفويِّ،

يُبعثرُ ثمارَ البوحِ

كخاتمٍ يُشيّعُ آخرَ طقوسِ الخطوبة،

في جسدٍ حرٍّ

يتلاشى في صمت،

إلى سرٍّ دفينٍ

في أعماقِ اللاوعي،

كي يُبدّدَ الغيابَ عنّا.

❋

كُنتُ أُحِبُّكَ

مِثْلَ أَمْطَارٍ عَلَى اَلرِّيفِ.

❋

حِينَ تَمْرُقِينَ
وَحْدِي أَقِيسُ رَغْبَتَكِ.

❋

وَأَنَا أَحْتَضِنُ خَصْرَكِ،
لَا أَشْعُرُ بِخُطُوي
كَأَنَّمَا تَمْحُونِي اَلعَتْمَةُ
أَسِيرُ حَافِياً
وَأَمْحُو أَثَرِي.

كَأَيْقُونَةٍ زَرْقَاءَ فِي دَيْرٍ قَدِيمٍ

اِشْتَرَيْتُ مَنزِلاً ضَيِّقاً لِرُوحِي،
وَكَانَ هُوَ يَحْلُمُ بِالْمَسَاحَاتِ!
لَيْسَ لَهُ أَيُّ رَغْبَةٍ فِي تَرْكِ أَشْوَاقِهِ
تَذْبُلُ عَلَى اَلنَّوَافِذِ اَلْمُعَطَّلَةِ.

*

المنزل - الحلم
اَلْخَائِفُ مِنَ النِّسْيَانِ
اَلْمُلْتَصِقُ بِرُوحِي،
كَأَيْقُونَةٍ زَرْقَاءَ فِي دَيْرٍ قَدِيمٍ.

*

أنت الأعمى
وَالحُلْمُ عَصَاكَ اَللاَّمَرْئِيَّةِ إِلَى الرُّؤْيَا!

*

الحلم أحياناً، كالحنان

قَدْ يَسُوقُ

إِلَى اَلتَّهْلُكَةِ، يَفْتَحُ اَلبَصِيرَةَ، فُيْحِيلُ اَلْمَرْءَ

إِلَى هِجْرَةٍ مُتَّصِلَةٍ فِي أَقَالِيمِ اَلتِّيهِ وَاَلْهَذَيَانِ.

❋

في الحلمِ، جاءهُ أنكيدو،

سبقَتْ رؤياهُ عيناهُ،

طيفًا رقيقًا، حالمًا،

يتأرجحُ بينَ الضياءِ والبكاء.

❋

في الحلم

أُعَدِّلُ نَبْضَكِ إِلَى جَهَتِي

لِيَحْرُسُ نَوْمِي.

❋

وفي الحلم

سَأَغْسِلُ أَوْجَاعَكِ بِمَاءِ اَلْوَرْدِ

وَأُلْقِي عَلَيْهَا رِدَاءَ اَلْقُبْلَةِ

سَأَنْزِعُ اَلاَشْوَاكَ مِنْ قَدَمَيْكِ بِمُطَهِّرِ اَلاَيَاتِ اَلْقَصَارِ

وَلَيْتُورِجِيَا اَللّهَ

لِيُشْعِلَ دَاخِلِي اَلَمَعْنَى

وَيَزْرَعَنِي فِي شَطْحِهِ نَعِيّاً..

*

الطائرُ الذي يُدرِّب الزرقةَ

حُمّى البحيرةِ المتّقدة،

لعلّهُ يحلمُ بذبحِ العتمةِ،

حيثُ الأضواءُ مُعلّقةٌ

بقيثارةِ التهمِ... وأحلامِنا.

ثمّة عزاء في التعاويذ أيتها الغريبة!

سَأَلْتُ
"مَمْ" عَنْ اَللَّهِ
فَاخْتَجَلَتْ بِالرُّؤَى
جَزِيرَةُ بُوطَان.

*

سَأَلْتُ
"زَيْن" عَنْ اَلوَردِ
قَالَتْ: صَنَعْتُ مِنْهُ قَمِيصاً لِلحُلْمِ!
كَانَتْ تَتَحَايَلُ عَلَى اَلْمَوْتِ فِيمَا هِيَ تَرْوِي:
حُلْمٌ نَائِمٌ فِي سَرِيرِ اَلغِيَابِ.

*

ثمّة عزاء في التعاويذ
أَيَّتُهَا اَلغَرِيبَةُ!

سَتَذْهَبِينَ فِي اَلقَصَائِدِ اَلْقَدِيمَةِ
وَأَنَا مِثْلَ كُلِّ اَلتَّفَاصِيلِ المُمِلَّةِ
سَأَغْرَقُ فِي التَّفَاصِيلِ
وَأَنْسَاكِ...

❋

لم أكن أظن
أَنْ يَبْقَى اَلعَشَاءُ بَارِداً
حزناً عَلَى اَلصَّوْتِ الَّذِي كُنتِ تُنَادِينَ إِلَيْهِ!

❋

من يدحرج لنا الحجر عن باب البكاء
وَيَبْنِي لَنَا فِي رُمْشِكِ
عشًّاً
ثُمَّ نَطِيرُ إِلَيْهِ
وَنَحُطُّ إِلَيْهِ...

❋

وَحْدَهُ اَلقَلْبُ أَدْرَى بِمِيقَاتِهِ.

في زحام السيرة

فِي زَحَامِ السِّيرَةِ
يَزْدَحِمُ اَلكَلَامُ وَاَلتَّعَبُ
وَأَنَا أَمْضِي
حَيْثُ لَا أَيْنَ..
أَمْشِي
وَأَرْمِي قُبَّعَتِي
فِي رِيَاحِ اَلْمُدِينَةِ.

❋

كم تبدو تائهاً؟!
نَزِيلٌ فِي اَلوَلَهِ اَلشَّجَنِي
فِي مِرُودٍ كُحْلِهَا.

❋

قِس مَعِي مَجَازَ اَلتِّيهِ

كَيْ لَا يَغْدُو اَلْأَمْسُ مُحْتّلاً
بِنِبَالِ عُشَّاقٍ يَتَذَكَّرُونَ.

❋

تَعَالَ، وَأَقْطِفْ تَعَبِي
قَالَتِ اَلبِنتُ
وَاقِفَةٌ نَافِرَةٌ أَمَامِي
بِيدِهَا جَمْرَةٌ أَخَذَتْهَا بِمِلْقَطٍ هَدْبِهَا
وَمَسَّتْ فَمِي.

❋

كَمَنْجَةٌ تَحْفِرُ فِي الأشواق
تَزِفُّ قَسْوَتَهَا عَلَيْنَا
عَلَى وَتَرٍ أَصَمٍّ يَكِيلُ اَلَمدِيحَ
فِيمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ مِنَ اَلمَعْنَى
الَّذِي قَدْ لَا تَذْهَبِينَ إِلَيْهِ..

كَانَتِ اَلتَّرَاقِيَاتُ يَشْمَتْنَ فِي وَحْدَةِ اَلغَرِيبِ!

عَلَى اَلطَّرِيقِ فِي وَسَطِهِ عَلَّقْنَا اَشْوَاقَنَا
فِي تِلْكَ اَلظُّهَيْرَةِ
اَلَّتِي لَمْ نَقُلْ حَتَّى .. وَدَاعاً!

❋

كَانَتِ اَلتَّرَاقِيَاتُ يَشْمَتْنَ فِي وَحْدَةِ اَلغَرِيبِ!
يُعَلِّقْنَ فِي حَلَمَاتِ نُهُودِهِنَّ
حَبَّاتِ اَلكَرَزِ
حَفَاوَةَ اَلتَّأَمُّلِ دُونَ نِسْيَانِ ثِيمَةِ اَلوَحْشَةِ اَلْمُتَشَابِكَةِ مَعَ أَزْرَارِ اَلسَّعَادَةِ.

❋

مَا ظَنَنْتُهُ وَقْعَ أَقْدَامِهِنَّ
عَلَى اَلطَّرِيقِ

كَانَ خَفْقَانَ قَلْبِي.

❋

طُيُورٌ بَيْضَاءُ

تُحَاوِلُ إِيْقَاظَ اَلْعَتْمَةِ

بَيْنَ أَغْصَانِ اَلشَّوْقِ.

❋

يَنَامُ الشَّوْقُ بِدَاخِلِنَا ، اَلْمَكَانُ اَلوَحِيدُ فِي أَطْلُسِ اَلرَّاهِنِ،

بَيْنَمَا نَسْهَرُ نَحْنُ عَلَى حِرَاسَتِهِ.

أيُّهَا الغَزَالُ المَاضِي بِأيَّامِي

سَأَكْتُبُ مَرْثِيَّتَكَ

أَيُّهَا الغَزَالُ المَاضِي بِأَيَّامِي

ثَمَّةَ وَقْتٍ رَمَادِيٍّ

وَأَسْئِلَةٍ كَثِيرَةٍ..

لَنْ أَتَطَرَّقَ إِلَى السَّعَادَةِ

فَقَدْ يُجَالِسُهَا الحُزْنُ

فَأَتْرُكُ لِلْغِيَابِ مَرْثِيَّتِي..

حِينَ تَضَعُ اَلحِكْمَةُ أَوْزَارَهَا فِي اَلتِّيهِ

إِلَى فَرِيد

فِي تَخُومِ اَلوَجدِ
هَلْ أَدْرَكَ اَلحَلاَّجُ
اَلتَّهْوِيلَاتِ اَلْمُرَافِقَةِ لِأَصْوَاتِ اَلدُّفُوفِ؟
رُبَّمَا لَنْ يَسْتَيْقِظَ صَبَاحَ اَلغَدِ
مِنْ دُونِ أَنْ تَنَالَ مِنهُ آلامُ "النُّوستَالجْيَا" بِعَلَّةٍ.

❋

الحَقُّ يَحْتَاجُ لِلْعُرْيِ، مِثْلَهُ مِثْلُ اَلجَمَالِ
نَصٌّ قَدِيمٌ
يَهَذِّبُ اَلمَعْنَى، خَزَائِنُ عَلَى هَوَامِشِهِ
رَشِيقٌ بِسُكَّانِهِ،
سَيَمْضِي بِنَا حَيْثُمَا
شَاءَ اَلتَّعَبُ.

*

هَلْ كُنتَ عَمِيلاً وَقَرْمَطِيّاً،

لِكَلَامِكَ فِي اَلحُبِّ؟

- كُنتُ طَاسَّاً لِنَفْسِي فِي اَلحَرَكَةِ وَاَلسُّكُونِ وَاَلْاِضْطِرَابِ اَلْإِنْجِيلِيِّ.

هَلْ أَعَدتَّ تَدْوِيرَ سُبْحَانِيَّتِكَ؟

- أَجَلْ، لِيَقْرَأَ اَلمَرَضَى فِي تَرَاكِيبِي، مَا هُوَ مَكْشُوفٌ بِلَا حِجَابٍ.

*

ضَيِّقٌ عَلَيَّ اَلمَكَانُ

وَسِّعْ لِي لِأَسْكُنَ شَوْقَكَ.

دُفُوفٌ

دُفُوفٌ
مِثْلَ اَلتَّعَاوِيذ
كَانَتْ تَحُومُ حَوْلَهُ.

❋

إِلَى مُحْيٍّ دِينٍ ابْنِ عَرَبِيٍّ :

فِي اَلطَّوَافِ بَيْنَ ضَرِيحِكَ وَالْيَاسَمِينَ اَلدِّمَشْقِيِّ
رَأَيْتُ قَاسِيُونَ مَرْكُوناً عَلَى تعَبٍ مُسْتَطِيلٍ
وَأَرْضٌ فِيهَا أَسْمَاءٌ سَيِّئَةٌ
بِجَوَارِ الأسماء اَلْحُسْنَى
لَا تَعُودُ بِسَعَادَةٍ أَنْدَلُسِيَّةٍ.

اَلحَنِينُ .. كَمَا هُوَ

اَلحَنِينُ .. كَمَا هُوَ
لَمْ يَشِخْ
لَكِنْ دَعْنَا نُؤَجِّلُهُ اَلْآنَ.

❊

فِي رَاحَةِ يَدِكَ
مِثْلَ فِنْجَانِ قَهْوَةٍ دَافِئَةٍ
تَجَمَّعَتْ رَشْفَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ اَلزَّمَنِ.
يَا لَهَا مِنْ بَهْجَةٍ أَنْ تَصْمُتَ.

خريف

اَلصَّنُوبَرُ اَلْمُبَلَّلُ
فِي كَفِّ يَدِكِ
خَرِيفٌ.

❋

خَرِيفٌ
تَاهَ فِي اِخْتِيَارِ مَكَانِ مَوْتِهِ
كَمَنْ يَبْحَثُ عَنْ رِئَةٍ صَدِيقَةٍ.

❋

مَنْ سَيَضْمَنُ لَهُ أَنْ اَلغَدَّ سَيَأْتِي فِي غِيَابِكِ.

❋

أَرَادَ أَنْ يَرْسُمَ اَلتِّيهَ،
وَرَسَمَ كَيْفَ كَانَ اَلْعُشْبُ يَتَدَفَّقُ وَيَوْمِضُ
فِي يَدِكِ.

أَرَادَ أَنْ يَرْسُمَ اَلتِّيهَ،
وَكَانَ دَائِمًا يَرَى أَنَّهُ يَرْسُمُ شَيْئاً آخَرَ.

❋

خريف
مَا تَبَقَّى
مِنْ مَارِشٍ عَسْكَرِيٍّ
يَقْطَعُ النِّهَايَاتِ اَلحَزِينَةِ
لِعَوْدَةِ جُنْدِيٍّ
عَلَى أَكْتَافِهِ نُجُومُ اَلْنَّدَمِ.

(نوستالجيات)

مِنْ شُرْفَةِ اَلطُّفُولَةِ
أُمِّي تَتَّصِلُ بِي لِتَنَاوُلِ اَلْعَشَاءِ.

❋

كَانَتْ لَهَا عَيْنَانِ تُضِيئَانِ اَلكَوْنَ عَلَى تَعَبِي، وَتَسْتَنْزِلَانِ اَلْمَطَرَ
أَتَحَدَّثُ عَنْ أُمي....

❋

أَذْكُرُ اَلْوَعْلَ الَّذِي يَعْدُو
أَجْمَلَ مِنْ أُسْطُورَةٍ
تَحْتَ مَطَرِ ذَاكِرَةِ اَلطُّفُولَةِ
أَذْكُرُ أَيْضاً أَنَّه
لمْ يَعُدْ لَدَيْنَا
سُوَى اَلحُلْمِ الَّذِي كُنَّاهُ
وَأُنثَى فِي اَلهِجْرِ أَجْمَلُ
مِنْ خَيْبَةِ أَمَلٍ.

النَّوْمُ فِي أَحْضَانِ اَلْعُزْلَةِ

يَبْدُو أَنَّ اَلنَّوَافِذَ قَدْ نَامَتْ لِلْتَّوِّ
تَحْتَ مَدَاعَبَاتِ اَللَّيْلِ اَلْبَارِدَةِ.
عَقْرَبُ اَلسَّاعَةِ قَدْ تَوَقَّفَ
وَأَنْتَ تَشْرَبُ كُوباً مِنْ اَلْعُزْلَةِ.

❋

اَلْأَعْمَى يَقُودُ اَلضّوْءَ إِلَى عَصَاهُ
يَكْشُّ اَلعَتْمَةَ
لَيْسَ ثَمَّةَ أَقَلُّ إِشَارَةٍ
لِتَحْوِيلِ اَلاَلَمِ إِلَى حُبٍّ.

❋

عُزْلَتُكَ مِثْلُ بِيَانُو
مَفَاتِيحُ سَوْدَاءُ وَبِيضاءُ
وَأَنتَ هُنَاكَ فِي مَكَانٍ مَا.

مفاتيح سوداء وبيضاء

وأنت هناك في مكان ما.

الغائب الذي مات في شهور الأحلام الكبيرة

اَلرَّاهِبَاتُ يَضَعْنَ اَلشَّوْكَ عَلَى مَذْبَحِهِنَّ وَسَطَ تَرْتِيلِ اَلْمَزَامِيرِ.

يَزْرَعْنَ فِي اَلْحَدِيقَةِ سُرْخَسَ الذَّاكِرَةِ.

رَسَائِلِهِنَّ اَلبَيْضَاءَ

وَقَلِيلاً مِّنَ اَلْوَحْشَةِ.

اَلرَّاهِبَاتُ يَزْرَعْنَ فِي اَلغَيْمِ شَوْكَ اَلخطايا

وَيُنشِدْنَ اَلغَائِبَ

اَلغَائِبَ الَّذِي مَاتَ فِي شُهُورِ اَلاَحْلَامِ اَلكَبِيرَةِ

على مقربةٍ من تخومِ القُبلةِ.

تميمة الغائب

كَانَتِ اَلْعَاشِقَاتُ يَكْحُلْنَ عُيُونَ اَللهِ
بِحَلِيبِ اَلْمُسَرَّاتِ
يَسْكُنَّ اَلطَّرِيقَ.

❋

اَلطَّرِيقُ
اَلْمُشْفَعُ بتعويذة اَلْوَاجِبِ.

❋

اَلطَّرِيقُ اَلْمُعَلَّقُ عَلَى مَشْجَبِ اَلعَوْدَةِ!
عَزَاءٌ فِي مِحْنَةِ اَلفَرَحِ
فَانُوسٌ كَسُولٍ فِي حَيِّ اَلنِّسْيَانِ.

❋

فِي اَلطَّرِيقِ
يَبْتَلُّ اَلغِيَابُ فِي أَصْفَرِ اَلتَّفَاسِيرِ

فِي اَلْإِنْشَادِ اَلوَجْدَانِيِّ
تَمِيمَةُ اَلغَائِبِ
فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ.

❋

هُوَ اَلطَّرِيقُ
أُرَفِّعُهُ لِأَنَّهُ عَرَفَ اِسْمِي.

❋

هُوَ اَلطَّرِيقُ
قُرْبَانٌ جَسِيمٌ،
لَا يَحِسُّ بِاَلآلَمِ وَاَلْمُتْعَةِ، إِلَّا مُتْعَةَ عَضِّ اَلغِيَابِ.

❋

فِي اَلطَّرِيقِ
حَمَامَةٌ
نَثَرَتْ عَلَيَّ بَرَاءَتَهَا،
فَرَشَتْ جَنَاحَيْهَا لِتَرْفَعَنِي
إِلَى سَبْعِ سَمَاوَاتٍ مَيْتَةٍ.

❋

ستمضي حيثُ لا أحدُ ينتظر،

وتسألُ:

هل للطمأنينةِ لونٌ يُرى؟

أوَ تسألُها عن لونِ السريرِ

كي تغفو بلا عودة؟

(تانغو)

تَانْغُو
أَوَاخِرُ صَيْفٍ صَامِتٍ
أَمَامَ شَفَتَيْكِ اَلشَّتُّوِيَّةِ.

*

تَانْغُو بِيَازُولَا - اَلنِّسْيَانُ
تَخْلَعُ اَلحُزْنَ
وَتَخْرُجُ
تَخْجَلُ قَلِيلاً
بِأَنْ تَسِيرَ بِفَرَحٍ عَارٍ
وَلَا شَيْءَ سِوَى اَلنِّسْيَانِ.

*

حين أغادرُ حانةَ الأيامِ بلا تفكير،
سأحملُ في ذاكرتي الجرارَ الجميلةَ،

وهي تُمَشِّطُ البراري بأناملِ الضوء،
وحُلماً وحيداً
حلّقتُ فيهِ طائراً.



كَمْ هُوَ جَمِيلٌ
أَنْ تَنْتَظِرَ اَلصَّبَاحَ
رَغْمَ أَنْكَ سَتَفْقِدُهُ مَرَّةً أُخْرَى
فِي عَتْمَتِكَ.

الأغنية لا تزال كما هي..

إِلَى سَارَة

لَيْسَتْ هِيَ اَلْوَحْدَةُ
عِندَمَا تَمْكُثُ وَحْدَكَ فِي غُرْفَةٍ صَمَّاءَ
تَشْرَبُ نَبِيذاً، وَتَسْتَمِعُ إِلَى أُغْنِيَةِ "السَّلْمِ المُؤَدِّي إِلَى اَلْجَنَّةِ"
تَمْشِي فِي اَلشْوَارِعِ
تَتَجَنَّبُ أَعْيُنَ النَّاسِ
ثُمَّ تَذْهَبُ إِلَى اَلفِرَاشِ وَحْدَكَ
وَأَنْتَ لَا تَجْرُؤُ عَلَى لَمْسِ اَلمِلَاءَاتِ
اَلَّتِي حَافَظَتْ عَلَى رَائِحَةِ أَحْلَامِكَ
اَلْوَحْدَةُ تَعِيشُ مَعَ الألم
فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى.

حِينَ لَمْ يَكُنْ فِي غِيبِ اَلخْرَابِ أيُّ ضَوءٍ

عَرَفْتُ أَنْ اَلفَوَانِيسَ اَلضّريرة تَرْمِي مَرْسَاتِهَا فِي اَلعَتْمَةِ الَّتِي لَنْ تَضِيءَ

وَخِفْتُ أَنْ يُحِيطَ بِي اَلْعَمَاءُ

أَصَابَنِي اَلسَّيْرُ، فَخَطَوْتُ حَتَّى اِقْتَرَبْتُ مِنْ أَنْامِلِ صَوْتِهَا، وَهِيَ تَنْزِفُ:

"حِينَ لَمْ يَكُنْ فِي غِيبِ اَلخْرَابِ أَيُّ ضُوءٍ

نَزَعْتُ مِنْ بَيْنِ نَهْدَيَّ يَرَاعَةً

وَطَيَّرْتُهَا لَكَ

فَاقْرَأْ نَبَأِي فِي زُبْدِ اَلغَيْبِ

أَنْ اَلغَيْبَ ضَرِيحٌ لِنُبُوءَتِي"..

قُلتُ يَا بِنْتُ:

هَلْ سَيَنْثَقِبُ اَلفَضَاءُ لِتَمُرَّ اَلسُّحُبُ الَّتِي سَتَأْخُذُنَا إِلَى اَلضَرِيحِ الأَخِيرِ

وتُشْعِلُ حديثَ النزهةِ الممطرةِ،

حيثُ الحروف تتراقصُ في قطراتٍ من الشوق.

اَلرَّجُلُ الَّذِي مَاتَ فِي اَلطَّرِيقِ إِلَى قَلْبِهِ

اَلرَّجُلُ الَّذِي مَاتَ فِي اَلطَّرِيقِ إِلَى قَلْبِهِ
رَحَلَ مِنِّي لِيَسْتَقِرَّ فِي مَلَامِحِ أَبِي.

*

أَنْتَ تِيْهٌ بِلاَ أَثَرٍ
إِذَا كُنتَ تَضِيعُ
مَنْ الَّذِي سَيَبْحَثُ عَنْكَ؟
هَلْ تَرَكْتَ
شَجَرَةً
طِفْلاً
عَصْفُوراً
لِتَتْرُكَ أَثَراً؟
هَلْ تَرَكْتَ
بَصْمَةً
فِي مَرْآةِ الرُّوحِ

فِي رُوحِكَ

فِي رُوحِ الرَّجُلِ الَّذِي مَاتَ فِي اَلطَّرِيقِ إِلَى قَلْبِهِ؟

في المنفى

فِي اَلمَنفَى:
يَعْثُرُ اَلغَرِيبُ
عَلَى جَسَدٍ
كَانَ قَدْ تَنَاثَرَ مِنْهُ!

*

رَأَيْتُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِماً فَوْقَ عَتبَةٍ قُبَالَةَ حَانَةٍ مُتَوَسّداً
كَمَنْجَتَهُ
ذَاكَ اَلفَتَى الأسمر
يَأْخُذُ أَوْتَارَهُ إِلَى اَلمَاضِي
وَكُلُّ شَيْءٍ يَشِفُّ مِنْ فَرْطِ الألم.

*

مَا مِنْ مَوْتٍ هُنَاكَ
لَا اَللَّيْلُ

وَلَا قُمْصَانُ اَلْمُوْتَى

تَخَيَّمُ عَلَى

نَهَارِ رَحِيلِكَ.

❋

تَعَاوَنَ اَلْأَخْوَةُ وَاَلْأَعْدَاءُ عَلَى حَمْلِ نَعْشِكَ،

رَأَيْتُهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ بِكَ اَلْقُدُمَ

كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ

كَانَ يَسِيرُ فِي جَنَازَتِهِ!

❋

حتَّى الخيولِ الَّتي رعَيتُها

لم تَذْهَبْ إلى طِرادِها

واكتَفَتْ بنَظَراتِها الصَّابِرَةِ

في أثرِ خُطوتِك.

الفهرس